خلاصة البحث

كانت جمهورية كردستان محاولة فريدة، في تاريخ الكرد لتأكيد هويتهم القومية، وبناء كيان سياسي خاص بهم (الدولة القومية) أسوة بالشعوب الأخرى، إلا أن هذه المحاولة فشلت، كالمحاولات الكردية الأخرى، في القرنين التاسع عشر والعشرين، لأنها اصطدمت بمصالح القوى الأوروبية المستكبرة، والمستغلة للشعوب، ومصالح الدول القومية التي خلقتها الأحداث في الشرق الأوسط، بعد الحرب العالمية الأولى.

إن الروس والمصالح الروسية النفطية سببوا القدر الأكبر من الهزيمة، لأن الجمهورية ما تأسست إلاّ على الوعود الروسية، وتوقعات القيادة الكردية بأن الدولة السوفيتية، بخلاف الدول الغربية، تنطلق من أرضية عقدية إنسانية، لن تتخلى عنهم أبدا. فقد أخطأت القيادة في وضع كل ثقتها في الروس، وعدم إيجاد بدائل جدية لهم. في الحقيقة أن الروس أنهوا تحالفهم مع الكرد ـ أو بالأحرى استغلالهم للورقة الكردية ـ من جانبهم منذ نيسان 1946.

وكانت أمام القيادة الكردية فرصة للبحث عن البدائل، من قبل قطع الصلة الكلية بالشيوعيين الروس، والأذربيجانيين، وإيجاد حل وسط مع السلطة المركزية، أو إعلان حكومة مستقلة كليا عن إيران، ونقل القيادة إلى مواقع عسكرية محصّنة، وبدء المقاومة العسكرية في كردستان الكبرى، والاعتماد على الذات كليا لفترة. علما بأن القوى الكبرى تتعامل مع معطيات الأحداث على أرض الواقع. فلو كان الكرد يثبتون أنفسهم ـ ويعتقد الكاتب أن ذلك كان ممكنا في الأربعينيات كما كان ممكنا في العشرينيات ـ على أرض الواقع لتعامل القوى

الدولية والإقليمية معهم رغم إرادتها، وهذا ما حصل لحركة مصطفى كمال، في تركيا، في عشرينيات القرن الماضي.

وتبين تجربة جمهورية كردستان، وبكل وضوح، أن الفكر القومي العلماني المجرد ـ كما تجسّد في الحزب الديمقراطي الكردستاني في إيران، في هذه الفترة ـ كان فكرا نخبويا، وإلى حد ما، محصورا بالمدن، وأن ولاء الجماهير الكردية ظل محصورا في نطاقها القبلي، وأن رؤساء القبائل والشيوخ كانوا المهيمنين والمحتكرين لهذا الولاء. ولم يستطع القاضي محمد طرح البديل الواقعي للقبلية الكردية. فشعار الكرداية حتى الذي طرحه كان مزيجاً من الإسلام والفكر القومي الكردي. ولكن رؤساء القبائل لم يتبنّوا هذه الشعارات لتحقيق مصالح الكرد، بل لمصالحهم الشخصية.

وبما أن المصالح الشخصية هي المرجعية هنا، فإن اقتضى ذلك تعاون رؤساء القبائل الكردية ـ من أمثال حمه رشيد خان، وعمر خان وغيرهما من الذين كان يعوّل القاضي محمد عليهم كثيرا، للدفاع عن جمهورية كردستان في المعارك ـ منذ نيسان 1946، مع السلطة المركزية. لذلك لم يكن لجمهورية كردستان الترابط والوحدة العقدية لخلق الوحدة السياسية، أو ما يسمى بتبلور المصالح القومية التي تكون فوق الاعتبارات الفردية والقبلية والإقليمية.

فقد كان من الأجدر بالقاضي محمد بناء صلات مباشرة، مع الجماهير الكردية، فضلاً عن رؤساء العشائر، مستغلاً رصيده ورصيد عائلته المعنوية الغنية، والزخم الغني في الولاء للإسلام الذي كان موجوداً، في أعماق نفوس الجماهير الكردية. وهذا ما كان يقتضي وقتا أكبر، مما سمحت به الأحداث، خلال الحرب العالمية. فكان من الممكن مثلا، استغلال الفترة من 1941 إلى 1946 التي ساد فيها الفراغ السياسي والعسكري، لبناء شبكة من العلاقات مع الجماهير، وتهيئتهم للجهاد، ونشر الوعي الإسلامي من أجل زعزعة الكيان والولاء القبليين السائدين في كردستان. ورغم ما عرف عن القاضي محمد من اطّلاعه الجيد على التاريخ الكردي، فإنه ـ وللأسف ـ كرّر خطأ عبيد الله النهري، إلى حد ما، في الاعتماد على رؤساء العشائر الذين تخلوا عنه، عندما بدأت شوكة الحكومة تقوى تدريجياً.

هناك استمرارية ملحوظة في تكرار الأخطاء في القرن العشرين، من التاريخ الكردي. وقد أشرنا إلى بعض منها، فيما مرّ في ثنايا البحث، ونريد التأكيد هنا أن الكرد دفعوا ثمنا غاليا، في القرن العشرين، نتيجة عدم إدراكهم لاعتبارات السياسة الدولية، وحقائق توازن القوى الدولية، وإفرازاتها على الساحة الكردستانية. كما عانوا الإحباطات المتكررة، نتيجة وضع كل ثقلهم في ميزان دولة من الدول الكبرى، وعدم موازنة هذه العلاقة بشبكة من العلاقات مع القوى الأخرى الإقليمية والدولية، وعدم تهيئة المقوّمات الذاتية للبقاء، في حالة انقطاع الدعم الخارجي.

كيف يكررمن يملك تجربة جمهورية كردستان مع الروس عام 1946، المأساة نفسها مع الأمريكيين، وبالطريقة نفسها، في عام 1975؟.

obeikandl.com

وثيقة ـ 1 ـ
العلاقات الروسية ـ الكردية وجمهورية مهاباد
2 ـ آذربيجان

أثمرت اللقاءات التي جرت عن طريق المصادفة في قرية شيخ زينو على الحدود العراقية ـ الإيرانية، بين كابتن جاكسون (ضابط سياسي بريطاني ـ المترجم) وثلاثة من رؤساء العشائر الكردية، القادمة من الأراضي الكردية في إيران، عن نتائج مهمة. وقد حظر اللقاء كل من حمد أمين آغا شنو، رئيس عشيرة بيران، وقرني آغا شيخ قلعة رش، والشيخ مصلح، أحد أقرباء شيخ عبدالله زينو. ورغم أن هناك أحداثاً مهمة وسريعة تحدث في المنطقة الكردية في إيران، وأن لهؤلاء الرؤساء دوراً فيه، فقد تكلّفوا عناء السفر الكبير، وعبروا الحدود العراقية ـ الإيرانية، ووصلوا إلى رانية، ليطلبوا يد بنت سوارا آغا بيران.

بخلاف ما كان شائعا، إلى فترة قريبة، عن تردد الكرد في إيران عن الخوض في السياسة، والتحدث إلى الأجانب، لم يكن هناك أي تردد هذه المرة عند هؤلاء من رؤساء العشائر القادمين، في التحدث إلينا، حول الأوضاع السياسية. في الحقيقة كان رؤساء الكرد يتصرفون، وكأنهم مدفوعون، ومكلفون لنشر هذه المعلومات. وأورد، أدناه، قسماً من الحوار الذي دار بيننا، طبعاً بعد تبادل المجاملات المعروفة هنا:

كابتن جاكسون H. M. J ًأصلاً في الوثيقة): أين قريتكم في إيران يا آغا؟.

قرني آغا: إنها في قلعة رش، ولكن اسمح لي بأن أقول: إنها ليست في إيران، إنها في آذربيجان.

كابتن جاكسون: وكيف ذلك؟ اعتقدت أن أذربيجان هي جزء من إيران، وأنها المحافظة الشمالية.

قرني آغا: أوه ألم تسمع. الآن عندنا حكومة مستقلة.

كابتن جاكسون: نعم سمعت شيئاً عن ذلك، ولكن أليس هناك معارك دامية أيضاً.

قرني آغا: لا، كانت تلك معارك جولات سريعة وحاسمة ولم يكن هناك أية مقاومة تذكر للقوات الإيرانية، في معظم الجبهات.

كابتن جاكسون: يعني هذا أنكم كنتم مزوّدين بأحدث الأسلحة والعتاد، فمن أين حصلتم على ذلك؟. هل سرقتم تلك الأسلحة؟

قرني آغا: (يجيب وبكل اعتداد بالنفس) لا بالتأكيد، حصلنا على الأسلحة من أصدقائنا الروس.

كابتن جاكسون: هل ما تقوله حق؟ لأنني كنت أعتقد أن الروس لا يتدخلون في الأحداث الداخلية في آذربيجان، لأنهم باستمرار يصرون على هذا الادعاء.

قرني آغا: أوه، نعم ما أقوله هو الحقيقة، أعرف أن الروس يكرّرون سياسة عدم تدخلهم في الشؤون الداخلية الإيرانية مراراً، ويمكن ملاحظة ذلك في صحف تبريز ورضائية (أورمية حالياً ـ المترجم)، ولكن ذلك الادعاء هو خدعة سياسية لإرضاء الحلفاء. ولكن مثلاً في Q. T (هذه الموجزات غير معلومة ـ المترجم) زوّد الروس منطقتنا (مهاباد) بخمسمئة قطعة سلاح، وتسع لوريات من العتاد. في الحقيقة يقوم الروس بتوزيع السلاح والعجلات العسكرية والعتاد بين الكرد، بسخاء نادر، وفي كل المناطق.

كابتن جاكسون: أين بدأت المشاكل أولاً؟.

قرني آغا: أوه في مهاباد. حيث كنا أول من أجبر القوات الإيرانية والمسؤولين الإيرانيين على مغادرة المدينة، وحدث الشيء نفسه، فيما بعد، في المناطق الكردية الأخرى.

كابتن جاكسون: الآن عندكم إذن حكومة مستقلة. أعتقد هذا ما تفضلت به قبل قليل.

محمد أمين آغا: لا ولكن قريباً ستكون لنا حكومة مستقلة، لأن الروس قالوا لنا ذلك، ليس هناك بيننا وبين الترك (الآذريين ـ المؤلف) أية مشكلة، فالترك يريدون أن يستقلوا في تبريز، وستكون هناك حكومة مستقلة في مهاباد ولكن الترك الذين يشكلون الغالبية في آذربيجان، يريدون حكومة مستقلة واحدة، ويكون مقرها تبريز.

كابتن جاكسون: كيف ستحسم هذه الخلافات بينكم وبين الترك؟.

قرني آغا: غادر قائدنا القاضي محمد إلى موسكو، للتشاور مع ستالين، حول هذه الأمور، وإنّه سيجلب بالتأكيد رداً إيجابيا، لأن الروس يتعاطفون مع الكرد ويدعمونهم

كابتن جاكسون: يبدو أن قائدكم هنا القاضي محمد رجل مهم جداً. أليس هو رئيس كومه له؟.

محمد أمين آغا: انحّل تنظيم (كومه له) وحل محله الديمقراطي (الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ المؤلف)، ولكن لا يزال القاضي محمد رئيساً لنا، وإنّه قائد عظيم، فهو يعرف اللغات الإنكليزية، والفرنسية والروسية، ولغات أخرى.

كابتن جاكسون: هل لكم جريدة محلية في مهاباد؟.

قرني آغا: نعم، وقد بدأت الجريدة بالصدور حديثاً. زوّدنا الروس بجهاز، وبالأوراق.

كابتن جاكسون: هل عندكم قيادات مهمة بمستوى القاضي محمد؟.

قرني آغا: نعم، يشرف الجنرال مصطفى البارزاني على الشؤون العسكرية في الحكومة، وإنّه مقرب جداً من الروس. وقد أعطى قاضي محمد له، ولرجاله، قطعا كبيرة من الأراضي حول آشنويه، وجمع له ولرجاله، نحو تسعة ملايين ريال إيراني.

كابتن جاكسون: هل يشارك مصطفى البارزاني ورجاله في المعارك الجارية الآن؟.

قرني آغا: نعم، بالتأكيد... يشرف كل من أحمد آغا ميركه سور، والشيخ أحمد البارزاني، على المعارك في قاطع رضائية. وإنّ الملا مصطفى البارزاني يقوم حالياً بالعمليات الاستطلاعية، حيث زار شيناوه قبل يوم، وغادرها إلى سردشت.

كابتن جاكسون: هل هذا يعني أنكم تنوون نقل المعارك إلى سردشت أيضاً؟.

قرني آغا: نعم، وكذلك إلى سنندج.

كابتن جاكسون: ومتى تصل هذه المعارك إلى نهايتها؟.

قرني آغا: (وبكل اعتداد بالنفس) إن ذلك لن يستغرق وقتاً طويلاً.

كابتن جاكسون: هل هناك من يتعاون معكم في تلك المناطق؟.

قرني آغا: نعم يشترك معنا حمه رشيد خان، في تلك المعارك.

كابتن جاكسون: هل حمه رشيد خان حالياً في إيران؟.

قرني آغا: هرب حمه رشيد خان مؤخراً إلى العراق. وحسب الادّعاءات الروسية فإن الإنجليز في العراق هم الذين سمحوا له، بمغادرة البلد إلى إيران، وذلك من أجل تمكينه من بسط نفوذه في المنطقة الحدودية، ضد السلطة المركزية في إيران.

كابتن جاكسون: هل عندكم إداريّون أكْفاء، لتولي زمام الأمور في حالة تشكيل الحكومة المستقلة لكم؟.

محمد أمين آغا: نعم عندنا الكثيرون منهم. أضف إلى ذلك أن الروس وعدونا بالكثير من الدعم، في هذا المجال. وإن المسؤولين الإداريين السابقين من الأصل الأذربايجاني لا زالوا في المنطقة.

كابتن جاكسون: كيف تستطيعون الاستغناء عن الدعم المالي من الحكومة المركزية. علماً أن السلطات في طهران، قد قامت بتجميد كافة الأموال التابعة لكم في الخزينة المركزية في طهران؟.

قرني آغا: نعم نستطيع أن نستغني عن دعمهم. ويقول الروس في حال اعتراف الحكومتين البريطانية والأمريكية بحكومتنا المستقلة (في مهاباد ـ المؤلف)، فإنهم سيقومون بطبع النقود المالية لنا.

كابتن جاكسون: وماذا ستحصل لو لم تقم الحكومتين المذكورتين بالاعتراف بكم.

قرني آغا: ولماذا لا تعترف الحكومتان المذكورتان بحكومتنا. ألم تكرر هاتان الحكومتان في إعلاميهما مراراً استعدادهما للاعتراف بالحقوق المشروعة للشعوب الصغيرة.

كابتن جاكسون: ألا تعتقدون أن بيع محصول التبغ سيكون صعباً هذا العام.

قرني آغا: نعم نعتقد كذلك. لا تزال حكومة طهران ترفض أن تدفع لنا مليوني ريال ثمن التبغ الذي أخذته منا العام الماضي. وترفض حتى الآن شراء محصول التبغ في العام الحالي. ولكن الروس يقولون: إذا رفضت طهران شراء محصول التبغ، فسوف يقومون هم بدورهم بشراء ذلك وسيدفعون لنا مليوني ريال تعويضاً، عن ثمن التبغ الذي رفضت الحكومة دفعه لنا.

كابتن جاكسون: يبدو أن الروس هم الذين يقومون بإدارة الحكومة نيابة عنكم.

قرني آغا: نعم، إنهم جيدون جداً، وإنّ الروس هم أخلص أصدقاء الكرد، حيث إنهم مستعدون لتلبية كافة متطلباتنا.

كابتن جاكسون: ماذا قدمتم، أنتم الكرد، مقابل كل هذا الدعم؟.

قرني آغا: أوه، إنهم حصلوا على امتياز النفط.

كابتن جاكسون: هل بدأ الروس يفكرون باستخراج النفط من شمال إيران؟.

قرني آغا: إنهم جلبوا مؤخراً، العديد من المهندسين إلى إيران لهذا الغرض.

كابتن جاكسون: ماذا سيكسب الإنسان الكردي العادي، من هذه التغيرات في منطقتكم؟.

قرني آغا: إنهم سيحصلون على الأراضي التي كان يملكها ملاّكو الأراضي الأغنياء، الساكنين في طهران. كما وعدنا الروس ببناء المدارس، والمستشفيات، والطرق البرية، وسكك الحديد.

كابتن جاكسون: هل يعني ذلك أنه في المناطق الكردية التي لا توجد فيها أراضٍ لملاّكي طهران، ستقوم أنت وأمثالك من الإقطاعيين الكرد، بتوزيع أراضيكم على الفلاحين؟

محمد أمين آغا: (وبكل حماس) لا نحن لسنا شيوعيين، بل ديمقراطيين.

كابتن جاكسون: يبدو لي أن استقلالكم غير كامل. ويسيطر الروس حالياً على مصيركم، وإنّكم مضطرون في الاعتماد المطلق، في المستقبل، على الروس.

قرني آغا: سيكون هذا الاعتماد لفترة وجيزة، حتى نستطيع الوقوف على أرجلنا، هذا ما وعدنا الروس به.

كابتن جاكسون: ولكن أنتم الآن بين نارين (نار السلطة المركزية ونار الروس ـ المترجم) أعلن الروس مؤخراً بأنهم سينسحبون من إيران، في الأول من آذار (عام 1946م المترجم).

قرني آغا: هذا مجرد وعد من الروس، ولكننا على ثقة بأن الروس سيظلون في المنطقة، طالما أردنا ذلك.

كابتن جاكسون: من هي القوميات الأخرى الساكنة في آذربيجان؟.

قرني آغا: هناك الآشوريون والأرمن.

كابتن جاكسون: ألا تعتقد أن الأرمن، في إيران، سيهاجرون إلى أرمنستان السوفيتية؟.

قرني آغا: قلنا للروس إن إسكان الأرمن، في أرمنستان السوفيتية، سيؤدي حتماً إلى نقص في السكان، وهذا ليس في صالح الحكومة المستقلة. فالروس وعدونا بإبقاء الأرمن في آذربيجان، كما وعدونا بإلحاق ثلاث مناطق، داخل الأراضي التركية على الحدود، إلى حكومة آذربيجان المستقلة في المستقبل القريب.

نستنتج من هذا الحوار، أن الإعلام الروسي موافق ومناسب جداً للتأثير في العقلية القبلية الكردية، وأن هذه العقلية الساذجة التي لا تفكر بالمستقبل وتعيش ليومها، لا تستطيع أن تستوعب سياسة الإنجليز في العراق وإن كانت تلك السياسة صادقة وواقعية في الأمد الطويل. ولكن الروس بدورهم يقومون بإعطاء الكرد الوعود المعسولة، والتي قد لا تكون معقولة، بتحقيق مطالبهم فوراً، لهذا فإنهم حققوا نفوذاً كبيراً بينهم.

لو قمنا بمقارنة الحماس القومي الصاعد، والآمال المنعشة بين الكرد، في إيران، بالإحباط والتشاؤم السائدين بين الكرد، الساكنين في راوندوز، لأدركنا أنه ليس من المستبعد أن يحدث تحرك بين الكرد في العراق، لتحقيق المطالب القومية.

تقرير الكابتن جاكسون: 13/2/1946م

راوندوز

■ ■ ■

المختصرات

ACH: Acting High Commissioner	نائب المندوب السامي
Adv. Min: Advisor to Minister	مستشار وزير
A. I: Administrative Inspector	المفتش الإداري في اللواء
APO: Assistant Political Officer	مساعد الضابط السياسي
BDFA: British Documents on Foreign Affairs:	الوثائق البريطانية الخاصة بالشؤون الخارجية
BOAS: Bulletin of the School of Oriental and African Studies.	
BHCF: British High Commission Files:	وثائق المندوبية السامية
Cab. Pap: Cabinet Papers	جلسات الحكومة البريطانية
CC: Civil Commissioner	الضابط السياسي المدني
CO: Colonial Office	وزارة المستعمرات
Desp: Despatch	رسالة رسمية
FO: Foreign Office	وزارة الخارجية
HC: High Commissioner	المندوب السامي
Memo: Memorandum	مذكرة
PMC: Permanent Mandate Commission:	لجنة الانتدابات الدائمة
RAF: Royal Air Force	القوة الجوية الملكية (البريطانية)
S.S.O: Special Service Officer	ضابط الاستخبارات
S.S.COL: Secretary for state for Colonies S.S for India: Secretary for State for India	وزير شؤون المستعمرات
Teleg: Telegram	برقية

obeikandl.com